الباب الأول

في بيان الذين يرون بعض الرؤى الصالحة
ويتلقون بعض الإلهامات الصادقة
ولكن ليس لهم مع الله تعالى صلة قط،
ولا نصيب لهم من النور الذي هو أدنى ما يحظى به أهل العلاقة،
ويبعدُ وجودهم المادي عن النور آلاف الأميال

فليتضح أنه لما كان الإنسان قد خُلق ليعرف خالقه ويبلغ درجة اليقين من أجل الإيمان بذاته وصفاته، فقد فطر الله تعالى ذهن الإنسان ووهب له قوى عقلية بحيث لو ألقى نظرة على صنع الله تعالى مستخدما تلك القوى لوصل إلى كنه حكمة الله – عز اسمه – الكاملة، وأدرَك ما يوجد من التركيب البليغ والمحكم في كل ذرة من نظام العالم ولعلِم ببصيرة تامة أن هذا الكون الواسع المكوَّن من السماوات والأرض لا يمكن أن يوجَد دون خالق، بل لا بد أن يكون له خالق. ومن ناحية ثانية فقد أعطِي حواسَّ وقوى روحانية لكي تسد الخلل أو النقص الذي يمكن أن يتركه العقل في معرفة الله تعالى، لأنه لا يمكن الحصول على معرفة الله تعالى بصورة كاملة بواسطة العقل وحده. والسبب في ذلك أن عمل العقل الذي أعطِيه الإنسان مقصور على أن يحكم أنه ينبغي أن يكون لهذا العالَمِ جامعِ الحقائق والحِكم خالقٌ، وذلك بالنظر في السماوات والأرض وما فيهما وترتيبهما البليغ والمحكم. ولكن ليس بوسعه أن يحكم أن ذلك الخالق موجود في الحقيقة. والظاهر أيضا أن الإحساس بضرورة الصانع أو الخالق لا يُعدُّ معرفة كاملة إلا إذا بلغت مبلغ اليقين بأن ذلك الصانع موجود في الحقيقة، لأن القول إنه ينبغي وجود خالق لهذه الأشياء لا يساوي قط القول بأن الخالقَ الذي اعتُرف بضرورته موجود فعلا. لذا كان الباحثون عن الحق – لإتمام سلوكهم ولأداء مقتضى الفطرة المترسخ في طبائعهم من أجل المعرفة الكاملة – بحاجة إلى أن يعطَوا القوى الروحانية أيضا علاوة على القوى العقلية لكي يقدروا – إذا استخدموا القوى الروحانية كما ينبغي ولم يحجبها حجاب – على الكشف عن وجه الحبيب الحقيقي بوضوح لم تقدر على كشفه القوى العقلية. إذن، فإن الإله الكريم الرحيم كما جعل فطرة الإنسان تجوع وتتعطش من أجل معرفته الكاملة، كذلك فقد أودع فطرة الإنسان نوعينِ من القوى بُغية إيصاله إلى تلك المعرفة الكاملة: إحداهما القوى العقلية التي مصدرها الدماغ، والثانية هي القوى الروحانية التي مصدرها القلب والتي يعتمد نقاؤها على نقاء

القلب. والأمور التي لا يمكن للقوى العقلية أن تكشفها بصورة كاملة فإن القوى الروحانية تبلغ كنهها. والقوى الروحانية إنما تملك القوة الانفعالية فحسب، أي خلق الصفاء والنقاء حتى تنعكس فيها فيوضُ مبدأ الفيض. لذا يُشترَط لها أن تكون مستعدة لجذب الفيض حتى تنال فيض معرفة الله الكاملة، وألا يحول دون ذلك حائل أو عائق، وألا تقتصر معرفتها على أنه يجب أن يكون لهذا العالم المليء بالحِكم صانع، بل تكون محظوظة بالمكالمة والمخاطبة الكاملة مع هذا الصانع وتشاهد آياته العظيمة وترى وجهه الكريم وترى بعين اليقين أن هذا الخالق موجود في الحقيقة.

ولكن لما كانت فطرة معظم الناس غير خالية من الحجب، ولما كان حب الدنيا والرغبة فيها والكبر والزهو والعُجب والرياء والاعتداد بالنفس وغيرها من الأخلاق الرذيلة كالكسل والاستكانة المتعمدة في أداء حقوق الله وحقوق العباد، والانحراف المتعمد عن شروط الصدق والثبات وإخلاص الحب والوفاء، وقطع العلاقة مع الله تعالى عمدا.. لما كان ذلك كله ملحوظا في طبيعة معظم الناس، فإنه بسبب الحجب المتنوعة والأغشية والعوائق وأهواء النفس ورغباتها لم تعُد تلك الطبائع جديرة بأن ينـــزل عليها فيض المكالمة والمخاطبة الإلهية المصحوبة بنصيب من أنوار القبول✪. نعم، إن رحمة الله الأزلية التي لا تريد أن تضيِّع الفطرة الإنسانية وضعَت في معظم الناس سُنَّتها كبذر البذرة؛ فهم يرون أحيانا رؤى صالحة وإلهامات صادقة ليعلموا أن مجال التقدم مفتوح أمامهم.

✪ ليكن معلوما أن الرغبات الجسدية والشهوات توجد في الأنبياء عليهم السلام أيـــضا، ولكن الفرق هو أن هؤلاء الأطهار يتخلون أولا عن أهواء النفس وجذباتها ابتغاء مرضـــاة الله ويذبحون نفوسهم أمام الله، وما يفقدونه في سبيل الله يعاد إليهم فضلا. وتطرأ عليهم الحالات كلها ولكنهم لا يضعفون ولا يتكاسلون. أما الذين لا يذبحون نفوسهم في سبيل الله فتغدو شهواتهم حجبا عليهم فيموتون في القذارة مثل دودة النجاسة. فمثلهم ومثـــل عباد الله الأطهار كمثل السجّان والسجناء، فهم يقيمون في مكان واحد ولكن لا يمكـــن القول بأن السجّان مثل السجناء. منه.

ولكن رؤاهم وإلهاماتهم لا تكون مصحوبة بعلامات القبول عند الله وحبه وفضله، كما لا يكون أصحابها منـــزهين عن نجاسة النفس. فلا يرون الرؤى إلا لتكون حجة عليهم ليؤمنوا بأنبياء الله الأطهار، لأنهم لو ظلوا محرومين كليا من فهمِ حقيقة الرؤى الصالحة والإلهامات الصادقة، ولو لم يحصلوا بذلك على علم اليقين لكان لهم عند الله عذر أنهم لم يكونوا قادرين على فهم حقيقة النبوة لجهلهم بالموضوع جهلا تاما. وحُقَّ لهم أن يقولوا: قد جهلنا حقيقة النبوة تماما؛ إذ لم تُعطَ فطرتنا لفهمها نموذجا، فأنّى كان لنا أن ندرك هذه الحقيقة الكامنة؟ لذا فإن سنة الله القديمة الجارية منذ بدء الخليقة هي أن الناس عمومًا يرون رؤى صالحة ويتلقون إلهامات صادقة إلى حد ما كنموذج، بغض النظر عن كونهم صالحين أم طالحين، أبرارا أم فاسقين، وسواء أكانوا على دين صادق أم باطل، لكي تصل إلى علم اليقينِ أفكارُهم وخيالاتهم المبنيّة على النقل والسماع فقط◎، ولكي يكون في أيديهم نموذج من أجل التقدم الروحاني. ولتحقيق هذا الهدف فقد خلق الله الحكيمُ المطلقُ دماغ الإنسان بصورة معينة وأعطاه قوى روحانية بحيث يستطيع أن يرى بعض الرؤى الصالحة ويتلقى بعض الإلهامات الصادقة. ولكن تلك الرؤى والإلهامات لا تدل على عظمةٍ أو صلاحٍ فيهم وإنما تدل على أنهم يتقدمون شيئا فشيئا، وعلى أن صاحبها سليم الفطرة بشرط ألا يلقى عاقبة سيئة بسبب أهوائه النفسانية. ويُتوقع من صاحب هذه الفطرة أن يتطور إن لم تعترض سبيله العوائق والحجب. فمثلا نعرف من خلال بعض المؤشرات أن تحت أرض معينة ماء ولكنه غائر وتحت طبقات كثيرة ومختلِط بأنواع الوحل، وإن لم تُبذل جهود مضنية، ولم تُحفر الأرض لأيام فلن يخرج ذلك الماء الصافي الزلال والقابل للاستهلاك. فمن الشقاوة والجهل وسوء الحظ

◎ العلم ثلاثة أنواع، الأول: علم اليقين كأنْ يرى الإنسان دخانا في مكان بعيد ويتأكـــد من وجود النار فيه بالقياس على الدخان. والثاني: عين اليقين كأنْ يـــرى النـــار بعينـــه. والثالث: حق اليقين كأنْ يُدخل يدَه في النار ويحس بحرارتها، منه.

تماما القولُ إن كمال الإنسان يقتصر على رؤيته رؤيا صالحة واحدة أو تلقيه إلهاما صادقا واحدا. بل الحق أن هناك مستلزمات وشروطا كثيرة لكمال الإنسان، وما لم تتحقق فإن الرؤى والإلهامات تدخل في عداد ابتلاء من الله، حمى الله كل سالك من شرها.

هنا يجب أن يتذكر كل مولع بالإلهام أن الوحي قسمان، وحي الابتلاء ووحي الاصطفاء. إن وحي الابتلاء في بعض الأحيان يكون مدعاة للهلاك كما هلك بسببه "بلعام باعور". أما صاحب وحي الاصطفاء فلا يهلك أبدا. كذلك إن وحي الابتلاء أيضا لا يتلقاه كل شخص، بل إن مَثل طبائع بعض الناس كمثل الذين يولَدون صُمًّا أو بُكمًا أو عُميًا. كذلك إن القوى الروحانية لدى البعض تكون كالعدم. وكما أن العميان يمضون أوقاتهم معتمدين على إرشاد الآخرين لهم، كذلك حال هؤلاء أيضا، ولكن لا يسعهم إنكار هذه الأحداث الواقعة بسبب شهادة عامة الناس التي تدخل في عداد البديهيات، كما لا يسعهم القول إن الناس كلهم عميان مثلهم.

والملحوظ بشكل عام أن الأعمى لا يجادل في أن المبصرين كاذبون كلهم في إدعائهم الإبصار، ولا ينكر أن ألوفًا من الناس غيره يملكون عيونا، وذلك لأنه يدرك جيدا أن بقية الناس يستخدمون عيونهم ويعملون ما لا يقدر عليه هو. أما إذا كان هناك زمن من الأزمنة الخالية لم يوجد فيه إلا العميان ولم يكن يوجد أحد من أصحاب العيون لكان للعميان فرصة كبيرة للإنكار والمحاججة، بل أظن أن النجاح سيكون حليف العميان لأن الذي يتحدث عن أحداث مزعومة وقعت في الأزمنة الغابرة فحسب ولا يقدر على أن يثبت لأحد تلك القدرات والكمالات التي يدّعيها، ويقول بأنه قد خلا زمن تلك القدرات والكمالات ولم تمتد إلى الزمن الحاضر فلا بد أن يثبت كذبه في نهاية المطاف بعد البحث والتحقيق، لأن القوى التي وهبها الله الفياض المطلق لجسد الإنسان مثل قوة البصر والسمع والشم واللمس والحفظ والفكر وغيرها لا تزال موجودة في

الناس على حالها، فكيف يمكن التصور إذن أن القوى الروحانية التي كانت موجودة في الناس في الأزمنة الغابرة غابت كلها من فطرتهم في هذا الزمن؟ مع أن تلك القوى هي أكثر ضرورة وأهمية من القوى الجسدية من أجل كمال نفس الإنسان. ثم كيف يمكن إنكارها حين تُثبت التجربةُ اليوميةُ أنها ما فُقِدتْ. فيتبين من ذلك كم هي بعيدة عن الحقيقة تلك الأديان التي تعترف أن القوى العقلية والمادية في فطرة الناس ما زالت كما كانت، ولكنها ترفض بقاء تلك القوى الروحانية فيهم على حالها.

إنني أهدف من هذا البيان إلى أن رؤيةَ أحدٍ رؤى صالحة أو تلقّيه بعض الإلهامات الصادقة لا تدل على كماله ما لم تصحبها العلامات الأخرى التي سنذكرها في الباب الثالث بإذن الله القدير، بل تكون نتيجة بُنيته الدماغية. لذا لا يُشتَرَط في ذلك كون صاحبها صالحا وتقيا، كما ليس ضروريا أن يكون مؤمنا ومسلما. وكما يرى بعض الناس رؤى أو يعلمون شيئا بواسطة إلهامات بسبب بُنيتهم الدماغية فقط، كذلك تناسب بعضَ الطبائع الحقائقُ والمعارف بناء على بُنيتها الدماغية، فتخطر ببال أصحابها أمور لطيفة. والحق أنه ينطبق عليهم الحديث: "آمن شِعره وكفر قلبه"، لذا فإن معرفة الصادق ليس بوسع كل شخص بسيط.

ترجمة بيت فارسي:

هناك أبالسة كثُر في صورة آدم، فيجب ألا تُعطَى اليدُ *(البيعة)* في يد كل واحد منهم.

(انتهت الترجمة)

وإلى جانب ذلك لا بد من الانتباه أيضا إلى أن الرؤى والإلهامات لأناس بهذا المستوى تكون في ظلمة شديدة، ولا يلاحظ فيها بريق الصدق إلا ما شذ وندر، ولا تصحبها علامات حب الله وقبوله ﷻ. وإن وُجد فيه شيء من الغيب كان مشترَكا بين ملايين الناس؛ ولكلٍ أن يقوم بالبحث والتحقيق – إذا

شاء – فإن الفساق والفجار والكفار والملحدين حتى الزانيات أيضا يشتركن في هذا النوع من الرؤى والإلهامات. فالذين يفرحون بها ويتبجحون ليسوا من العقلاء. ومخدوعٌ مَن يعتبر نفسه شيئا بوجود شيء من قبيل هذه الرؤى والإلهامات لديه. بل لا بد من التذكُّر أن مَثل الحائز على هذه الدرجة كمثل شخص يرى في ليلة مظلمة دخانا من بعيد ولا يرى ضوء النار ولا يقدر على أن يتخلص من برده وكآبته بحرارتها. لذا فإن هؤلاء الناس لا ينالون نصيبا من بركات الله الخاصة ونِعَمه ولا تتولّد فيهم أمارات القبول، وليس لهم أدنى علاقة مع الله تعالى، ولا تحترق شوائبهم البشرية بشعلة النور. وبما أنهم لا يكونون على صلة إخلاص مع الله تعالى فيكون الشيطان قرينهم لعدم كونهم محظوظين بقرب رحمانية الله، ويظل حديث النفس غالبا عليهم. وكما يُحجب معظم الشمس بسبب كثرة الغيوم ويظهر جزء منها بين حين وآخر.. كذلك تبقى حالتهم في معظم الأحيان في حجب الظلام ويكون في رؤاهم وإلهاماتهم تأثير كبير للشيطان.